٩٩/١٩/٤/٢٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٢٦٠
التاريخ ١٥/٢/٢٠١٤

مجلّة الإنماء العربي للعلوم الانسانيّة

تصدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت

الفكر العربي

العدد الثاني والثلاثون نيسان (ابريل) - حزيران (يونيو) ١٩٨٣ السنة الخامسة

مستشارو التحرير

د. علي بن الأشهر — د. إحسان عبّاس — د. شكري فيصل
الشيخ عبدالله العلايلي — د. عمر التومي الشيباني — د. عبدالسلام المسدّي — رئيس التحرير
د. مصطفى التير — د. معن زيادة — د. إبراهيم رفيدة — رضوان السيّد

المدير المسؤول عوض شعبان

العنوان

معهد الإنماء العربي
بيروت - لبنان
ص.ب المجلة : ١٤/٥٥٦٤ ص.ب المعهد : ١٤/٥٣٠٠

الهيئة القوميّة للبحث العلمي
طرابلس ص.ب ٤٠٨٠
الجماهيرية العربيّة الليبية الشعبيّة الاشتراكية

الثمن : ٢٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الرحّالون العرب

وحضارة الغرب في النهضة العربيّة الحديثة

نازك سابا يارد
مراجعة هاشم شفيق

يطرح كتاب الدكتورة نازك سابا يارد، «الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة»، جملة من التساؤلات الفكرية، حول نشوء الفكر العربي المرتحل في أصقاع الفكر الاوروبي.

ضمن هذا السياق، يكشف الكتاب، ذلك الصراع الفكري والحضاري في مؤلفات الرحّالين العرب الذين زاروا الغرب، ما بين أوائل القرن التاسع عشر والحرب العالمية الثانية، وينجح في رصد مواقف الرحالين العرب من الحضارة الغربية في جميع مناصيها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية.

يتلخّص الكتاب بفصوله الثلاثة، بشعور رحّالينا العرب بتفوّق الغرب، في مجالات السياسة والاقتصاد والعلم. ورأوا من خلال ذلك، أن يحذو العرب حذوهم، وأن يختاروا السبيل الذي يوصلهم إلى منجزات الحضارة الغربية، وبطرائق مختلفة: كطريق الاقتباس واستيحاء التطورات التكنيكية والعلمية في حقول العلوم والمعرفة. مع الحرص الشديد على الاحتفاظ بهويتهم الشرقية، رغم التباين الحاصل في نشأتهم البيئية وتكوينهم الثقافي.

إن هذا الشعور (احساسهم الشرقي)، كان القاسم المشترك فيما بينهم، مما حدا ببروز الواعز الوطني والقومي كقاسم مشترك آخر لدى رحّالينا، سواء كانوا مسيحيين أم مسلمين. تحت هذا الضوء، دافع رحّالونا عن موروثهم الحضاري وميسمهم العربي. وتعرّضوا في آرائهم المتباينة لمحاولات الإجهاز على تفكيرهم، بشتى الصنوف الداعية لاستعمار العقل العربي أو الجغرافيا، رغم اختلاف وجهات نظرهم التي سنوضحها بما يأتيه هذا الكتاب.

الفصل الأول: يتناول رحّالوا الحقبة الأولى من سنة (١٨٢٦) إلى سنة (١٨٨٠)، وبوادر اتصالهم بالغرب. وهم: **رفاعة الطهطاوي** (١٨٠١ - ١٨٧٣)، الذي رافق بعثة علمية إلى باريس مكوّناً ملاحظاته وانطباعاته، التي جاءت تعبيراً عن موقف سياسي وليست مجرّد مشاهدات سياحية في كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز». **وخير الدين التونسي** (١٨١٠ - ١٨٩٠)، الذي وضع كتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك». **وأحمد فارس الشدياق** (١٨٠٤ - ١٨٨٧)، الذي لخّص انطباعاته في كتاب «الواسطة في معرفة أحوال مالطة». وكذلك **فرنسيس بن فتح الله مراش** (١٨٣٦ - ١٨٧٣)، الواضح كتاب «رحلة إلى باريس».

تلاحظ الدكتورة سابا، بخصوص رحّالينا الآنفي الذكر، أن تدوين مشاهداتهم في كتب، كانت تعبيراً عن

حاجة سياسية واجتماعية، وإن خالطت الرؤيـة الذاتيـة التي اتسعت، لتغدو معبّرة عن قضايا السياسة والاجتماع، منطلقين من واقع المجتمع الغربي في مضاميره السياسية والاجتماعية والعلمية.

من هنا، يتطرّق رحّالو هذا الجيل بنظرتهم إلى الحرية والإخاء والمساواة.

فالطهطاوي، مثلاً، وصف ثورة الشعب الفرنسي على الملك شارل العاشر سنة (١٨٣٠)، لأنه خالف الدستور، لذا نراه قد ترجم مواد هذا الدستور، مبيّناً ما تنص عليه من تساوي المواطنين جميعاً إزاء القانـون وفي الحقـوق والوظائف والرتب.

وكذلك خير الدين، الذي بيّن أن الثورة الفرنسية نقلت الانسان إلى مجتمع جديد، زالت فيه العبـوديـة، وحققـت الحرية والمساواة إزاء القانون. وأكد أن الحرية كانت سبب مدنية أوروبا وعلومها؛ وهذا ما ذهب إليه مراش أيضاً، وقد أثبت أن الحرية من حقوق الانسان الطبيعية. من هذه الزاوية، يبدو تأثير الفكر الاوروبي واضحاً وجلياً في آراء رحّالينـا، وخـاصـة فلاسفتهـم، كجـان جـاك روسـو ومونتسكيو. ولنأخذ مثالاً على ذلك مفهوم الحريـة لـدى مونتسكيو، المتلخّص «بالحق في عمل كل ما تسمح به القوانين».

فعلى غرار هذه المفهومة، نـرى الشـديـاق قـد نـادى بمثلها؛ ورفاعة الطهطاوي، الذي يصل في آرائه إلى ما ذهب إليه روسو، بتحديد الحرية كـ «أن كلاً منا يخضع نفسه وقوته لإرادة العامة التي تكون بمثابة الإرادة العليا، ونتقبّل كل فرد كجزء لا يتجزأ من الكل».

أمّا من ناحية الصراعَ الفكري، في موقف الرحّالين من الحرية والمساواة، فهي تختلف نسبة لدياناتهم، وضمن حدود ما تسمح به كلا الديانتين، المسيحية والاسلامية.

ويتضمّن الفصل أيضاً، حقل الصراع في الفكر العلمي الدائر حول تفوق الغربيين في المجال العسكري والتقنوي للأسلحة الحربية.

وقد شاهد رحّالونا، أن الصناعة والزراعة والتجارة، مرهونة بالتطور العلمي والفني. وقد عـزوا سبـب تخلـف الشرق في هذا المجال، إلى فساد الحكم والأحوال السياسية من جهة وإلى تقصير الشرقيين من جهة ثانية. ومن حيث الصراع بين العلم والدين، كان لرحّالينـا إيمانهم المبـدئـي، بسلطة العقل، وقد سخِروا سخرية شديدة من المعتقدات الخرافية، والإيمان بالسحر والشعودة والتنجيم والتبصير وعلم الغيب وتفسير الأحلام.

الفصل الثاني: تطرّقنا في الفصل الأول، إلى الصراع في أدب الرحّالين قبل الغزو ـ غزو الغرب للشرق سياسياً ـ بينما هذا الفصل سيتطرّق لرحالي الحقبة الثانيـة، مـن سنـة (١٨٨٠) إلى سنة (١٩١٨)، وهي الفترة التي عانى منها العرب الاحتلال الأوروبي المباشر.

تشتمل هذه الفترة، على الرحّـالين: **محمد أمين فكـري** (١٨٥٦ ـ ١٨٩٩)، ومن كتبه «إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا». ويليه **أحمد زكي** (١٨٦٦ ـ ١٩٣٤)، الذي وضع كتاب «السفر إلى المؤتمر». **ومحمد ابراهيم المويلحي** (١٨٦٨ ـ ١٩٣٠)، ومن كتبه «الرحلة الثانية»، وهو مشاهدات حول معرض اللوفر في باريس.

وهناك أيضاً، **محمد فريد وجرجي زيدان ومحمد كرد علي.**

يتجلّى فكر رحّالي هذه الحقبة، بتمايز آرائهم، وتعدّد اجتهاداتهم. فمحمد فريد والمويلحـي، يتفـرّدان بـرأيهما المتخلف عن رأيي زيدان وكرد علي، وذلك يرجع لمعاناتهما من الاستعمار العثماني؛ بينما نرى كرد علي وزيدان، قد مجّدا الاستعمار الفرنسي.

وكانت هذه الفترة بالذات، هي فترة النهوض القومي. والدفاع عن استقلال الأمة العربية. وهنا نجد، بأن الصراع اتخذ مظاهر مختلفة بالنسبة للرحّالـة المصري أو السـوري مسلماً كان أم مسيحياً. ونلاحظ في باب الصراع في الفكر الاقتصادي، اتفاق رحالينا، على إظهار التطوّر الاقتصادي الذي أدركته أوروبا في حقول التصنيـع والزراعـة، وفيما

الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي في العالم العربي، التي يهمُّها الاستفادة من تراثنا الفكري والعلمي العظيم.

الحواشي

(١) **ساخاروف.** أ. ن: « ديبلوماسية روسيا القديمة ـ مسائل في التاريخ »، عدد ٦ ـ موسكو ١٩٧٦، (ص ٦٦).

(٢) حول هذا الموضوع راجع: **باشوتاف.** ت: « السياسة الخارجية لروسيا القديمة »، تاريخ الاتحاد السوفياتي، عدد ٣ ـ موسكو ١٩٦٧، (ص ٧٥ ـ ٧٩).

(٣) **شمورلا.** ي: « الشرق والغرب في التاريخ الروسي » ـ يورييف ١٨٩٥، (ص ٣ ـ ٤).

(٤) **الجاس سليمانوف:** آسيا وأنا ـ ألماتا ١٩٧٥، (ص ١٥٣).

(٥) **ليخاتشوف. د:** « شاعرية الأدب الروسي القديم » ـ موسكو ١٩٧٧، (ص ٢٠).

(٦) راجع، **فيخنر م، ف** تجارة الحكومة الروسية مع بلدان الشرق ـ موسكو ١٩٥٦، (ص ١٠ ـ ٤١).

(٧) راجع: **كراتشكوفسكي،** ي. أ: « حول تاريخ الاستعراب الروسي » ـ موسكو/لينغراد ١٩٥٠، (ص ١٥ ـ ٢٠). **وكرايمسكي** أ. ي: « تاريخ العرب والآداب العربية الدينية والدنيوية »؛ الجزء الثاني ـ موسكو ١٩١٢، (ص ٧٥ ـ ٨٣).

(٨) **كرايمسكي** أ. ي، [المرجع نفسه].

(٩) راجع، **دانتسنغ** ب. م: « الشرق الأوسط في العلم والآداب الروسية » ـ موسكو ١٩٧٣، (ص ١٠ ـ ٤١).

(١٠) راجع، **كراتشكوفسكي:** « حول تاريخ الاستعراب الروسي » [مرجع سابق]، (ص ٢٠ ـ ٢١). **ودانتسنغ،** ب. م: من كتاب « خواطر حول تاريخ الاستشراق الروسي » ـ دار نشر العلم، موسكو ١٩٥٣، (ص ١٨٦ ـ ٢٢٠).

(١١) **دانتسنغ،** ب. م: من كتاب « خواطر حول تاريخ الاستشراق السوفياتي »، [مرجع سابق].

(١٢) **كراتشكوفسكي،** ي. أ: « حول تاريخ الاستعراب الروسي » [مرجع سابق] (ص ٣٥).

(١٣) راجع، **بريسلكوف** م. د: « خواطر حول التاريخ السياسي للكنيسة الروسية الكيفية، بين القرن العاشر والثاني عشر » ـ بطرسبورغ ١٩١٣، (ص ٢٤ ـ ٢٧).

(١٤) راجع، **كراتشكوفسكي** ي. أ: « حول تاريخ الاستعراب الروسي » [مرجع سابق] (ص ٣٠).

(١٥) المرجع نفسه، (ص ٢٥).

(١٦) المرجع نفسه، (ص ٢٧ ـ ٢٨).

(١٧) المرجع نفسه، (ص ٣٠).

(١٨) المرجع نفسه، (ص ٣١).

(١٩) راجع، **برتولد** ف. ف: « المؤلفات »، المجلد التاسع ـموسكو١٩٧٧، (ص ٢٨).

(٢٠) **كراتشكوفسكي:** « تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ٣٥].

(٢١) **برتولد** ف. ف: « المؤلفات »، المجلد التاسع، [مرجع سابق]، (ص ٢٩).

(٢٢) **كراتشكوفسكي:** « تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ٣٨).

(٢٣) راجع، **دانتسنغ** ب. م: « حول تاريخ دراسة الشرق الاوسط في روسيا في النصف الاول من القرن الثامن عشر » من كتاب « من تاريخ الاستشراق الروسي » ـ موسكو ١٩٥٦، (ص ٣٩٥ ـ ٤١٢).

(٢٤) **كراتشكوفسكي:** [مرجع سابق]، (ص ٤٠).

(٢٥) حول هذا الموضوع، راجع: **دانتسنغ** ب . م: « حول تاريخ دراسة الشرق الاوسط في روسيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر » من كتاب « تاريخ الاستشراق الروسي » - موسكو ١٩٦٣، (ص ١٣٤ - ١٨٦).

(٢٦) المرجع نفسه .

(٢٧) المرجع نفسه .

(٢٨) المرجع نفسه .

(٢٩) حول هذا الموضوع، راجع: **كراتشكوفسكي:** « حول تاريخ الاستعراب الروسي »، [المرجع نفسه] . ودراسة العالم السوفياتي، **الخاسر ادجي س . أ:** « الكلمات المعرَّبة في اللغة الروسية » - مجلة شعوب آسيا وافريقيا، عدد ١٩٧٣، (ص ١٥١ - ١٥٨).

(٣٠) **كراتشكوفسكي:** [المرجع نفسه]، (ص ٥٢).

(٣١) **برتولد . ف:** المجلد التاسع، [مرجع سابق]، (ص ٤٣).

(٣٢) المرجع نفسه، (ص ٤٩ - ٥٠).

(٣٣) المرجع نفسه، (ص ٥٠).

(٣٤) راجع، **كراتشكوفسكي:** « حول تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ٨٨ - ٨٩).

(٣٥) راجع: **كراتشكوفسكي،** المجلد الخامس، [مرجع سابق]، (ص ٦٨).

(٣٦) المرجع نفسه، (ص ٦٩).

(٣٧) المرجع نفسه(ص ٨١).

(٣٨) المرجع نفسه(ص ٨٢).

(٣٩) راجع: **دانتسنغ ب . م:** « حول دراسة الشرق الاوسط في روسيا، في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » - موسكو ١٩٦٨، (ص ٥٠ - ٥١).

(٤٠) **كراتشكوفسكي . أ:** حول تاريخ الاستعراب الروسي، [مرجع سابق]، (ص ٨٦).

(٤١) **كراتشكوفسكي . أ:** « شيخ طنطاوي البروفسور في جامعة بطرسبورغ »، من مجلده الخامس؛ [مرجع سابق]، (ص ٢٦).

(٤٢) للمزيد من التفاصيل عن الشيخ طنطاوي، راجع: **كراتشكوفسكي،**[المرجع السابق]؛ (ص ٢٢٩ - ٢٩٩).

(٤٣) المرجع نفسه .

(٤٤) المرجع نفسه .

(٤٤) (مكرّر) « **الديكابرية** » حركة سياسية جمعت ممثلين عن طبقة النبلاء الروس المتنورين، المتأثرين بالثورة الفرنسية، قاموا بانتفاضة سياسية ضد السلطات القيصرية في العام (١٨٢٥)، لم تفلح محاولاتهم بالنجاح؛ فنفي بعضهم إلى سيبيريا . كان تورغنيف وبوشكين وغلينكا من أشد المتحمّسين لهذه الثورة، وهي تعتبر بمثابة المرحلة الاولى للثورة الروسية التي مرّت بثلاث مراحل، والتي انتهت بالإطاحة بالنظام القيصري في العام (١٩١٧).

(٤٥) راجع، **دانتسنغ:** « حول دراسة الشرق الاوسط في روسيا »، [مرجع سابق]، (ص ١٠٢).

(٤٦) المرجع نفسه، (ص ١٠٧).

(٤٧) المرجع نفسه .

(٤٨) المرجع نفسه، (ص ١١٩).

(٤٩) راجع **برتولد . ف:** تاريخ دراسة الشرق في روسيا وأوروبا ـ المجلد التاسع، (ص ٣٩٨).

(٥٠) المرجع نفسه، (ص ٤٠١).

(٥١) **دانتسنغ:** « حول دراسة تاريخ الشرق الاوسط في روسيا »، [مرجع سابق]، (ص ١٢٣).

(٥٢) **كراتشكوفسكي:** « حول تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ١٢١).

(٥٣) المرجع نفسه .

(٥٤) راجع: **برتولد . ف،** المجلد التاسع، [مرجع سابق]، (ص ٦٧).

(٥٥) المرجع نفسه، (ص ٦٩).
(٥٦) المرجع نفسه.
(٥٧) **دانتسنغ:** « حول دراسة الشرق الأوسط في روسيا »، [مرجع سابق]؛ (ص ١١٨).
(٥٨) **كراتشكوفسكي:** « حول تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ١٣٠).
(٥٩) المرجع نفسه.
(٦٠) المرجع نفسه، (ص ١٣٢).
(٦١) المرجع نفسه.
(٦٢) **برتولد:** المجلد التاسع، [مرجع سابق]، (ص ٧٠).
(٦٣) **دانتسنغ:** « حول دراسة الشرق الأوسط في روسيا »، [مرجع سابق]، (ص ١٢١).
(٦٤) المرجع نفسه، (ص ١٢٢).
(٦٥) **برتولد:** المجلد التاسع، [مرجع سابق]، (ص ٤٥٤).
(٦٦) حول هذا الموضوع، راجع: **كراتشكوفسكي**، المجلد الخامس. [مرجع سابق].
(٦٧) المرجع نفسه.
(٦٧) (مكرّر) بطرسبورغ هي التسمية العربية لمدينة **بيتر بورغ**، والتي يطلق عليها الآن تسمية **لينينغراد**.
(٦٨) **دانتسنغ:** « حول دراسة الشرق الأوسط في روسيا »، [مرجع سابق]، (ص ١٤٧).
(٦٩) « حول كتابات البارون رازين ف. ب »، **لكراتشكوفسكي** ـ بيتربورغ ١٩١٨.
(٧٠) **كراتشكوفسكي. أ:** ملحق حول، « أعمال رازين ومواد عنه » ـ لينينغراد ١٩٢٩.
(٧١) المرجع نفسه.
(٧٢) **كراتشكوفسكي. أ:** المجلد الخامس، [مرجع سابق]؛ (ص ٤٤٥).
(٧٣) المرجع نفسه.
(٧٣) (مكرّر) جمعت أكاديمية العلوم السوفياتية ـ قسم الدراسات الشرقية أهم أعماله في تسعة مجلدات، وكل مجلد يقع في حوالى (٦٥٠ صفحة)، باستثناء المجلد التاسع والأخير، الذي يقع بـ (٩٦٦ صفحة). وتعتبر مؤلفاته بحق أهم وأنصف الكتابات الاوروبية حول الاسلام.
(٧٤) **كراتشكوفسكي:** المجلد الخامس، [مرجع سابق]، (ص ١٠٦).
(٧٥) راجع: **دانستنغ. ب. م:** الشرق الأوسط في العلم والآداب الروسية ـ موسكو ١٩٧٣، (ص ٣٤٣).
(٧٦) المرجع نفسه.
(٧٧) المرجع نفسه، (ص ٣٤٦).
(٧٨) راجع: **بازيان، أ** ـ معهد لازارسكي للغات الشرقية؛ موسكو ١٩٥٩.
(٧٩) **كراتشكوفسكي. أ:** « حول تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ١٦٦).
(٨٠) المرجع نفسه.
(٨١) المرجع نفسه.
(٨٢) راجع: المقدمة التي كتبها المستشرق **خاليدوف. أ**، عن اعمال كرايمسكي، في كتاب « تاريخ الأدب العربي المعاصر » ـ موسكو ١٩٧٠.
(٨٣) **كراتشكوفسكي. أ**، « حول تاريخ الاستعراب الروسي »، [مرجع سابق]، (ص ١٧٢).
(٨٤) راجع: **دانتسنغ**، « الشرق الأوسط في العلم والآداب الروسية »، [مرجع سابق]؛ (ص ٣٦١).
(٨٥) المرجع نفسه، (ص ٣٦٤).
(٨٦) راجع: « الاسلام في تاريخ شعوب الشرق »، تأليف مجموعة من العلماء السوفيات ـ موسكو ١٩٨١؛ (ص ١٨٩ ـ ١٩٤).

(٨٧) **كراتشكوفسكي . أ**، « حول تاريخ الاستعراب الروسي » [مرجع سابق]، (ص ١٧٧) .

(٨٨) المرجع نفسه .

(٨٩) عن هذه المجلة، وعن الدراسات الاسلامية في قازان وعموم روسيا، كرّس **برتولد** عدة أعمال، جُمعت في المجلد السادس من مؤلفاته التسعة .

(٩٠) **برتولد . ف**، المجلد التاسع، (ص ٥٩٣) .

(٩١) المرجع نفسه .

صَـــدر عَـــن

معهد الانماء العربي

وعيُ الوعيْ

او

الحكم المسبق والمسألة التربوية

د. أنطوان ج. خوري